عالم موسوعي متعدد الاختصاصات

أ. نبيلة عبد المنعم داود*

عرفت الاستاذ الدكتور عماد في السبعينات حين عين في كلية التربية (ابن رشد حالياً) في قسم التاريخ، وكان القسم يشغل قاعة واحدة فيها كل الاساتذة وكنت الاستاذة الوحيدة في القاعة. كنا متآخينً كأننا من أسرة واحدة وكان مجيء الدكتور عماد مكسباً للقسم لسمو اخلاقه وسعة علمه . ومن محاسن الصدف كان مكتبه في القسم مجاوراً لمكتبي وقد سعدت كثيراً بهذا الجوار. لان لنا اهتمامات مشتركة في التراث العربي والمخطوطات.

كان الدكتور عماد مختصاً بالتاريخ العثماني ورغم ذلك كان يتكلم في التخصصات الاخرى وعلى نحو خاص التاريخ الاسلامي. ومن كلامه تشعر انه على اطلاع واسع بجوانب كثيرة من التاريخ الاسلامي وبالذات العصور العباسية وكان له نشاط علمي في هذه الفترة وله كتاب عن مدارس بغداد ألفه قبل نيله شهادة الدكتوراه وهو من الكتب المعتمدة لحد الان.

لم يبق الدكتور عماد في الكلية فقد نقل الى مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد حسب رغبته ولكي يجد وقتاً كافياً لاتمام بحوثه والتفرغ لها.

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

نقل اول الامـر باحثاً، ثم تـولى ادارة المركز لكفاءته واهتماماته الواسعة عام ١٩٨٣ .
وكانت فـترة ادارته للمركز قصـيرة الا انها اهـم فـترة حيث شـكلت نقلـة نوعيـة فيه، وكانت ازهى فترة واكثرها نشاطاً فقد وضع اسساً في مجال احياء التراث العلمي والعربي ولم يكن مهتماً بالجوانب الانسانية فقط بل والعلميـة ايضاً فكتابه عن الاحجار يدل على ذلك .
وكنـت في سـنة ١٩٨٣ قـد نقلـت الى المركز لاهتمامـي بالـتراث العربـي والمخطوطـات العربية فـكان المركز المكان المفضل لدي لان تخصصه يتلاءم مع اهتماماتي فضلا عن ان مدير المركز الاستاذ الدكتور عماد عبد السلام الذي يشاركني الاهتمامات ذاتها. وحين علم الدكتور عماد وشعر بألمي لهذا النقل، عالجه بموقف كريم من أخ كريم لا ازال حتى اليوم اذكـره بكل تقدير وعندما بـاشرت اول يوم بالمركز اسـتقبلني الدكتور عماد واعلن أمام اعضاء المركز انـه الذي طلب نقلي الى المركز من وزير التعليم العالي. كل هذا حتى يخفف تأثري بهذا النقل .
هذه هي بعض سـجايا الدكتـور عماد الذي تمتـع بخلـق عالٍ وليـس هذا بغريـب عليه فهو من اسرة كريمة اشـتهرت بالتعليم كان جده محمـد رؤوف العطار من رواد التربية والتعليـم في العراق ومديـراً لاقدم ثانوية في الموصل ومديراً لمعـارف البصرة، ثم انتقلت الاسرة الى بغـداد، هذه هي سـجايا الدكتور عماد فهو كما يقول الشاعر:

هي الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات

كتب الدكتـور عماد في جوانـب متعددة من التاريخ الاسلامي والحديث، والتراث العربي وتحقيق المخطوطات مع التركيز على العلمية منها. فهو من طراز كتاب الموسوعات الذين ظهـروا بعد عام ٦٥٦هـ وبعد انتقال العلماء الى مصر والشـام حيث حافظوا على الثقافة العربية الاسـلامية فجمعوها في موسوعات. فالدكتـور عماد واحد منهـم الا انه لم يكتب موسـوعة تحمل هذه التخصصات لكنه كان موسوعياً في اهتماماته وهي كثيرة جداً.
كان خبـيراً في المجمـع العلمـي العراقـي وعضـواً في لجنة المخطوطات التي يرأسـها المرحـوم الاسـتاذ الدكتـور احمـد مطلوب. وكنت ايضاً خبيرة في المجمع وعضوة في لجنة المخطوطـات وقـد قمنا بجـرد المخطوطات المحفوظـة في المجمع وصلاحيتهـا للتحقيق وبعـد تأسـيس بيـت الحكمة عـام ١٩٩٦ وكانت اللجنـة مكونة من الاسـتاذ الدكتور صالح العلي والاستاذ الدكتور جميل الملائكة وأنا.
اختير الدكتور عماد عضواً في قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة.
كمـا كان عضـواً في قسـم الـتراث في بيـت الحكمة وكنت أنا مقررة قسم التراث. شارك

الدكتـور عماد بتأليـف الكتـب المنهجية في وزارة التربية.

ونظراً لكفاءته فقد اختير استاذاً اقدم عام ٢٠٠١ وللدكتور عماد مسـاهمة كبـيرة في تدريس الدراسـات العليـا والمناقشـة والاشراف على رسـائل الماجسـتير واطاريح الدكتـوراه في التاريخ الاسلامي والحديث.

والحقيقـة ان الكتابة عن الدكتور عماد هي السـهل الممتنع لان الانسـان يضيـع في كثرة اعماله ومؤلفاته وبحوثه .

كان مـن الكتب التـي حققها (اخبار بغداد وما جاورها من البلاد للسـيد محمود شـكر الالـوسي) وقـد أهداني نسـخة منـه متوجاً اياها بعبـارة (هدية الى اختـي في الله تعالى زميلتي في السراء والضراء الاستاذة الفاضلة الدكتـورة نبيلـة عبـد المنعـم داود نصرهـا اللـه على كل حاسـد كاشـح واثابها على كل اعمالها كل خير) والكاشـح المضمر للعداوة ١٤/٤/٢٠٠٩.

واذا قيـل ان لكل انسـان نصيباً من اسـمه فللدكتـور عماد كل اسـمه وعمـاد من عمد عمداً وعمـوداً ومعمداً الشيء قصده والعمود السـيد المعتمد عليه في الامور وعمود الكتاب نصه العماد ما يسند به الشيء العميد السيد المعتمد عليه في الامور عميد الامر قوامه فهذه الصفـات صفـات د. عمـاد فهو عمـود من اعمـدة التاريخ بما قدمه مـن ابحاث وكتب يعتمد عليها فهو قامة كبيرة في ذلك . ويقول الشاعر:

والبيت لا يبتني الا له عمد
ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع اوتـاد واعـمدة
وساكن بلـــغوا الذي كادوا

وهكـذا بنـى للتاريخ بيتاً كثـير العماد في ما قدمه من مؤلفات ومقالات .

لقد كانت فترة رئاسـته لمركز احياء التراث مـن ازهى الفـترات لانه كان يؤمـن بالتراث ويرى ان الاهتمام به نقطة البداية لمسـيرتنا الحضاريـة والثقافيـة لذلك وضـع د. عماد خطـة علمية طموحة اصبحت هي الاسـاس الذي بني عليه نشـاط المركز فيما بعد خطة لعمل المركز تشـمل انشـطة علميـة مختلفة ومنهـا انـه اهتـم بمكتبة المركـز وعمل على رفدهـا بالكتـب والدراسـات وكلـف أمينة المكتبة ان تطبع فهرساً لمحتوياتها للتعريف بهذه المكتبة.

ومن اهتمامات د. عماد العناية بتاريخ العلوم عند العرب ففي عام ١٩٨٤ عقدت اول ندوة عـن تاريخ العلوم شـارك فيها عدد كبير من العلمـاء من بغـداد او جامعـات المحافظات وضمـت مجموعـة مـن البحـوث في الطـب والصيدلـة والرياضيات والكيميـاء والتربية وغيرها وقـد عقدت هـذه النـدوة بالتعاون مع كلية طب بغداد ومما يؤسـف له ان هذه البحوث لم تطبع وقـد أُحتفظ بمحاور هذه النـدوة في العلوم الصرفـة والتطبيقية لان د.

عماد كان يعتقـد أن اغفال هذه العلوم ادى الى تصور خاطئ لان الاهتمام كان بالجوانب الانسـانية في الـتراث مثل التاريخ والشـعر والادب والفقـه هـذا العمـل ادى الى ظهور تصـور خاطئ هو ان التراث العربي جوانب انسـانية فقط اما العلمية فأهملت لاسـباب منهـا صعوبـة الجوانـب العلميـة الصرفة ولاحتوائهـا عـلى مصطلحات صعبـة الا ان علماء الغرب عكفوا على دراسة وتحقيق هذه المخطوطات العلمية ووجدوا فيها الكثير من الحقائـق العلمية التي لا زالـت قائمة حتى ايامنـا هـذه، ان هـذا الامـر ادى الى تصور خاطـئ وهو ان العـرب لم تكـن لهم علوم صرفة بل انسانية فقط.

وكنـا نحاول ان نلغي هذا التصور المخطىء وبالتأكيد عـلى الجوانب العلميـة التطبيقية خاصـة وان عدداً مـن علماء الغـرب اكدوا ان الغرب حين وضـع نظرياته العلمية بنى نظرياتـه عـلى اسـس عربية وهذا مـا اكده بعضهم ومنهم المرحوم د. فؤاد سزكين فقد أكّد في حديـث له في كلية الاداب الى ان ٨٥ ٪ من نظريات الغرب العلمية بنيت على أسـس عربية.

فقام الدكتور عمـاد بالتأكيد على الجوانب العلميـة وسـاعده في ذلك ان مكتبـة المركز تضـم مجموعـة طيبـة مـن المخطوطـات العلميـة، قد صورت مـن مكتبات عالمية من المانيـا وباريـس وامريـكا وتركيـا في الطب والصيدلة والرياضيات والفلك . والهندسـة والكيميـاء والاحجار والميكانيك ان هذا الامر شـجع د. عماد الى ان يقـوم بمحاولة جادة لتحقيق هذه النصوص العلمية من منتسبي المركـز وحتى يؤكـد على هذا وضـع منهجاً لتحقيق المخطوطات العلمية واعتقد انه هو الوحيـد الـذي تناول ذلك وطبعـه في كراس صغـير الحجـم كثير الفائـدة في عام ٢٠٠١ اي بعد ان تـرك ادارة المركز ورجع الى كلية التربية قسم التاريخ.

ويذكـر د. عمـاد ان الكتـب المؤلفة في علم تحقيـق المخطوطـات اسـتمدت قواعدها في الغالب من تجارب مؤلفيها في عالم التحقيق وكانت هذه التجـارب تختص بالمخطوطات الادبيـة جـاءت تلـك القواعـد لتعالج طرق تحقيق هـذا النوع مـن المخطوطات وهكذا الحال فيمـا يتعلق بالمخطوطـات في حقول المعرفة الاخرى .

صحيـح ان هناك قواعد ثابتة من قبيل جمع النسـخ المخطوطـة وتحديـد النسـخة الام والحقيقة ان جميع ما أُلف في قواعد التحقيق جـاء ليلبي حاجـات محققـي المخطوطات الادبية.

ولذلك يرى د. عماد ان العلوم الاخرى الصرفة والكيميـاء والطبيعة والحسـاب والهندسـة والفلك والطـب والصيدلة وعلم الارض وعلم الحيل (الميكانيك) وتبتـدئ هذه الاختلافات من مرحلة انتقاء المخطوط مشروع التحقيق

وحتى آخر مراحل اخراجه للقراء.
وقد بين د. عماد الالتزام بالامور الآتية:

١- اختيار المخطوط:
لابد من ان يوضع معيار للاختيار لان الاختيار هو نصف العمل العلمي فوضع د. عماد اسساً للاختيار هي: ان يقدم المخطوط اضافة جديدة للمعرفة فمن كتب ابن النفيس كتاب شرح تشريح القانون (ت ٦٨٧ ه) ضم نصوصاً مختلفة الا ان اهمها ما يتعلق بالدورة الدموية في الرئة، ومثلاً كتاب منافع الاحجار لعطارد الحاسب (ت ٢٤٣ ه) اكثر فيه مؤلفه من العزائم والرقى فاسترذل على حد تعبير البيروني في كتابه الجماهر في معرفة الجواهر الا انه انفرد بسبقين علميين هما الكثافة لخاصية الدسامة في الحجر وخاصية الصلابة فهذان الاكتشافان يكفيان ان يكونا مبرراً لتحقيقه.
وكثيرة هي كتب الكيمياء التي خصصت اكثرها لوصف طرق موهومة لتحويل المعادن الرخيصة الى ذهب أو فضة .

٢- ان يؤكد الكتاب على فقرة علمية صحيحة: قال بها بعض العلماء في عصر مضى ولكنها نسيت ومنها ظاهرة انفجار النجوم وقد اشار الى ذلك ابن رضوان ت ٤٦٠ ه في كتابه شرح المقالات الاربعة في القضايا بالنجوم لبطليموس.

٣- ومن الدواعي الى تحقيق المخطوط العلمي: انه يحوي أشكالاً هندسية او جداول رياضية فهذا قد يكون سبباً رئيساً لتحقيقه.

٤- ومن المبررات تحقيق المخطوط العلمي: ما يتضمنه من مصطلحات علمية تساعد على فهم معانٍ غامضة او تجارب مختبرية قصر دون فهمها الجهل بتلك المصطلحات مثل كتب الخوارزمي في مفاتيح العلوم، وابن الاكفاني في ارشاد القاصد الى اسمى المقاصد.

٥- ومن المبررات ان يكون المخطوط شرحاً: او حاشيته على كتاب علمي مهم فتأتي الشروح موضحة للاصلي.

٦- وربما خلا مخطوط علمي من اهمية في ذاته : ولكن كتابه يبقى مع ذلك جديراً بالتحقيق نظراً لانه نقل نصوصاً من كتب ضائعة مثل كتاب تذكرة الانطاكي.

٧- ومن الامور المهمة معرفة الخلفية العلمية للمحقق .

٨- المصطلحات العلمية ولها اهمية لدى المحقق .

٩- اسماء المواد الداخلة في نطاق العلم بالاضافة الى المصطلح العلمي: فان على المحقق ان يجهد نفسه في حل مشكلة اخرى تتصل بها لا تقل عنها صعوبة وهي ضبط المئات من اسماء المواد الداخلة في نطاق العلم للذي يحقق مخطوطه فيه ويزيد الامر صعوبة ان عدداً كبيراً من تلك الاسماء من اصول لغوية غير عربية كاليونانية واللاتينية

والفارسية والهندية وغيرها.

١٠- الصور والاشكال التوضيحية:

ان يحرص المحقق على نشر جميع الصور بألوانها ما امكنه ذلك لان من شأن نشرها أن يبين اهميتها الفنية او ان يقوم برسمها بدقة توفرها له وسائل الرسم الحديثة على ان لا يخرج عما اراده المؤلف مثال ذلك ما فعله رامزي رايت عند ترجمته لكتاب البيروتي التفهيم لاوائل صناعة التنجيم لندن ١٩٣٣ فانما عاد رسم جميع الاشكال الهندسية بوسائل وشي سات اكثر اتقاناً.

١١- الاستعانة بالترجمات القديمة

الترجمة : التي يقوم بها مترجم لنص علمي تعبر عن فهمه فاذا وجد محقق للنص الذي يتولى تحقيقه ترجمة قديمة قام بها مترجم الى لغة اخرى لابد من الاستعانة بها.

١٢- بعد تمام التحقيق: يسعى محقق المخطوط العلمي حتى يوضح النص للقارىء بالشرح والتوضيح ولابد من عمل ملاحق تتضمن الرموز والمصطلحات.

١٣- الفهارس يجب ان تكون تفصيلية

هجائية : تتضمن المواد النباتية والحيوانية والمعدنية والادوية المفردة والمركبة والكتب التي اعتمدها المحقق.

ان مصاعب من هذا النوع يجب ان لا تكون مثبطة لتحقيق النصوص العلمية «لان تحقيق نص جديد يخلد اسم محققه. ان خزائن المخطوطات في العالم وما تحويه من كنوز علمية في مختلف فنون المعرفة ما زالت بانتظار من يحققها».(د. عماد عبد السلام: تحقيق المخطوطات العلمية جامعة بغداد مركز احياء التراث، بغداد ٢٠٠١).

من الانجازات الاخرى التي قام بها د. عماد اثناء ادارته لمركز التراث انه عمل دورات للتعليم المستمر دورة عن التراث العلمي العربي دعا للمشاركة فيها مدرسي معاهد اعداد المعلمين. ثم دورة عن تحقيق المخطوطات.

كما اصدر المركز في ايامه نشرة باسم التراث العربي لتنشر اخبار المركز ونشاطاته ومؤلفات منتسبيه صدر منها العدد الاول ١٩٨٤ والعدد الثاني ولا تكتفي النشرة باخبار المركز بل باخبار المؤسسات العلمية في العراق وما يخص الكتب الجديدة واخبار الرسائل العلمية والنشاطات من ندوات ومؤتمرات ومواسم ثقافية.

الا ان النشرة توقفت بعد عودة د. عماد الى كلية التربية.

كان للمركز مجلس ادارة من فضلاء الاساتذة والعلماء في اختصاصات مختلفة منها الطب والصيدلة والرياضيات والهندسة وصدر أ. د . عماد امراً يقضي ان اكون عضواً في المجلس وكنت اعرف اكثرهم الا اني كنت لا اعرف الاستاذ الدكتور جميل الملائكة ولما

علم د. عماد بذلك قال لي سوف تجدينه فعلاً ملائكة وكان كما قال . ان هذا المجلس كان يقترح البحوث والكتب والنشاطات الاخرى ويشاركون في كل النشاطات.

ولما كانت ميزانية المركز محدودة لا تكفي لطبع اصداراته لذلك فقد عالج د. عماد هذه المسألة بأن قام بطبع الكتب التي الفها تدريسيو المركز طبعة تجريبية على الاستنسل وفعلاً طبعت مجموعة كبيرة وزعت على المؤسسات العلمية ونشرت اخبارها في النشرة وجاءت الى المركز طلبات لنسخ من هذه الطبعات وفيها الكثير من التراث العلمي التطبيقي والتراث الانساني على حد سواء ومن هذه النشرات كتاب علم الاحجار للدكتور عماد وكتب في التاريخ والعلوم والطب والميكانيك وقد طبع كتابي نكت الوزراء للجاجرمي والاخر نزهة الطرفاء للملك الافضل ابن رسول وهكذا نشط المركز واصبح معروفاً في الاوساط العلمية في العراق وخارجه.

وكانت في المركز دراسة لتحقيق المخطوطات ينال بها المشارك (الدبلوم العالي) في تحقيق المخطوطات وكانت اول الامر في الجامعة المستنصرية ثم نقلت الى المركز وكان رئيسه أ. د. صالح احمد العلي رحمه الله وقد دعيت الى مناقشة طالب د. عماد وكانت رسالته بأسم سلم العروج الى عالم المنازل والبروج وتخرج من هذه الدورة خمس رسائل ثم الغيت الدراسة وكان د. عماد مهتماً بهؤلاء الخريجين وكان يقول ان هؤلاء ثمرة المركز ولا بد ان يكون مكانهم فيه .

وقد بذلت المستحيل لاعادة هذه الدراسة حين كنت مديرة المركز الا ان طلبي لم يقبل.

عاد د. عماد الى قسم التاريخ كلية التربية (ابن رشد) وكنا دائماً على اتصال ومثل ما ذكرت كان على خلق عالٍ وحب لمساعدة الكل ومنهم تلاميذه وزملاؤه فقد ساعدني في طبع ج٢٢ من عيون التواريخ صدر عام١٩٩١ .

وفي عام ٢٠٠٣ انتقل الدكتور عماد الى كردستان في جامعة صلاح الدين في اربيل وهناك عمل في لجنة الوثائق والمخطوطات، ولجنة التاريخ والاكاديمية الكردية وعضواً في جمعية المؤرخين في كردستان.

وبعد، فسيرة الدكتور عماد سفر معرفي يتسع لكل الاختصاصات.

بارك الله في جهوده و وفقه واطال عمره ومنحه الصحة الدائمة وجعله قدوة للسيرة العلمية للاجيال القادمة.

Multi–disciplinary Encyclopedia scientist

By prof. Nabila Abdul Moneim Dawood
Center of revival of Arabian science Heritage\
University of Baghdad

Abstract

The research talks about the researcher knowledge of Dr.Emad Abdul Salam Raouf, who was in the seventies of the last century, i.e. after his appointment to the college of Education (Ibn Rushd) in the Department of History, The section, included a hall of professors, including prof. Nabila, who spoke about his high morals and the ability of his knowledge, He was a specialist in Ottoman history, but he talked about other disciplines, especially Islamic history, Dr. Emad then moved to Center of revival of Arabian science Heritage in University of Baghdad Full–time to complete his research, has witnessed this period when he headed the Center of the most important periods and formed a paradigm shift in it as he was interested in scientific research besides humanity.

The researcher then stated that she was transferred to the center in 1983 for her interest in Arab heritage and Arabic manuscripts; She was next to Dr. Emad again, Then the researcher touched on the attributes of the Professor and his family and his lineage, He is from a family interested in education and his grandfather, Mohammed Raouf al–Attar, was the director of the oldest second–ary school in Mosul and director of Basra's knowledge. The researcher showed that he was a multi–interest in the aspects of history, a type of encyclopedias writer's, although he did not write an encyclopedia carrying these disciplines.